الترادف في القرآن الكريم
بين المؤيدين والمعارضين

أ.حدة سابق
جامعة الأمير عبد القادر،قسنطينة

مقدمة:

تعدّ اللغة العربية أهم وأوسع اللغات السامية ثروة في أصول الألفاظ. فهي تشتمل على جميع الأصول التي تشتمل عليها اللغات السامية أو على معظمها، وتزيد عليها بأصول كثيرة، وأنه تجتمع فيها من المفردات في مختلف أنواع الكلمة اسمها وفعلها وحرفها، ومن المترادفات في الأسماء والصفات والأفعال، ما لم يجتمع مثله للغة سامية أخرى، بل ما يندر وجود مثله في لغة من لغات العالم[1].

فالثراء والخصوبة المتوفران في اللغة العربية، جعلت بعض اللغويين يجمعون الأعداد الهائلة من الأسماء لمسمى واحد والعرب يعبرون عن الشيء الواحد بأسماء كثيرة، فهذا ابن فارس يقول: "ومما لا يمكن نقله البتة أوصاف

---

(1) ينظر: فقه اللغة، علي عبد الواحد وافي ص168، 169 .

السيف والأسد والرمح وغير ذلك من الأسماء المترادفة ، ومعروف أن العجم لا تعرف للأسد أسماء غير واحد. فأما نحن فنخرج له خمسين ومائة اسم "[1].

ويقول ابن خالويه الهمذاني:"جمعت للأسد خمسمائة اسم، وللحية مائتين" [2].

و لا يعني هذا أن الترادف ظاهرة متفقا عليها بين اللغويين، بل هي من المسائل التي أثير حولها النقاش قديما وحديثا، فقديما بين علماء اللغة العربية، وعلماء التفسير و الأصول، وحديثا بين الباحثين في المجالات ذاتها، و يمكن القول إن سبب هذا الاختلاف يعود إلى أصول وضع الألفاظ ابتداء و مدلولاتها الحقيقية، ومدى تحملها لمدلولات أخرى غير التي وضع اللفظ لها ابتداء. وقد يعود سبب الاختلاف إلى الأثر الذي يترتب على هذه الظاهرة سواء على مستوى المعالجة اللغوية. أم على المستوى الإعجازي.

ولاشك أن هذا الاختلاف كان له أثره في تفسير آيات كتاب الله عز وجل، وبيان معانيه، و لهذا ارتأيت إبراز عدد من مواقف المفسّرين من الطرفين: من المؤيدين والمانعين مع ذكر نصوصهم وتطبيقاتهم في تفسير القرآن الكريم. فالمؤيدون يسعون لإبراز الترادف و علله، بينما الفريق الثاني يسعى لإبراز الفوارق اللغوية مبيّنا أن اللفظ لا يستعمل إلا لمعنى واحد.

و لدراسة هذا الموضوع خصصت المطلب الأول للجانب اللغوي للترادف وبداية ظهوره، و فصّلت في المطلب الثالث مواقف علماء التفسير من ظاهرة الترادف. وختمت البحث بنتائج حول هذه الدراسة.

---

(1) الصاحبي في فقه اللغة، ص 21.

(2) المصدر والصفحة نفسها.

المطلب الأول ـ تعريف الترادف وبداية ظهوره:

الفرع الأول – تعريف الترادف:

1 – في معاجم اللغة:

"ردف" الراء والدال والفاء أصلٌ واحدٌ مطّرد، يدلُّ على اتبِاع الشيء. فالتَّرادف: التتابع [1].

وترادفَ الشيء إذا تبع بعضه بعضا...وردِف الرجل وأردفه: ركب خلفه. والرَّدف: ما تبع الشيءَ، وكل شيء تبع شيئا، فهو ردفه[2].

2 – في اصطلاح اللغويين: فإن ما ذكره سيبويه من أنه اختلاف اللفظين والمعنى واحد، مثل ذهب وانطلق. إلا أنّه لم يصرح بأنه الترادف. هكذا فهمه من جاء بعده حتى المعاصرين، كما رجحه الدكتور محمد سالم صالح في كتابه " أصول النظرية السياقية الحديثة عند علماء العربية"، فقال: "اختلاف اللفظين والمعنى واحد، هو المترادف"[3]. وعرفه الجرجاني بقوله: "هو عبارة عن الاتحاد في المفهوم، وقيل هو توالي الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد.

---

(1) مقاييس اللغة، لابن فارس، 418/2.

(2) لسان العرب، لابن منظور، مادة ردَفَ، 1152/2 – 1153. ومختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي، ص105.

(3) أصول النظرية السياقية الحديثة عند علماء العربية، ص 2.

وقال أيضا: الترادف يطلق على معنيين: أحدهما: الاتحاد في الصدق.والثاني: الاتحاد في المفهوم. ومن نظر في الأول فرق بينهما، ومن نظر إلى الثاني لم يفرق بينهما" [1].

وفي موضع آخر عرّفه بقوله:"المترادف ما كان معناه واحدا وأسماؤه كثيرة وهو ضد المشترك أخذا من الترادف الذي هو ركوب أحد خلف آخر؛ كأن المعنى مركوب، واللفظين راكبان عليه كالليث والأسد"[2].

وكان للإمام محمد الطاهر بن عاشور اختياره في تعريف الترادف، فقال: "أختار أن أحدَّ المترادف بأنه لفظ مفرد دال بالوضع على معنى قد دل عليه بالوضع لفظ آخر مفرد يخالفه في بعض حروفه الموضوع عليها، بحيث تنطق به قبائل العرب كلها إذا شاءت، أو ألفاظ مفردة كذلك بشرط استقلال تلك المفردات في الاستعمال وفي الدلالة"[3]. ثم بيّن كل عبارة في حدّه وما يخرج بها:

- دال بالوضع على معنى: خرج بذلك استعمال الألفاظ في معان مجازية أو كنائية.

- لفظ آخر مفرد: لأنه لا ترادف بين المركبات التقييدية والإضافية والإسنادية.

- يخالفه في بعض حروفه الموضوع عليها، لأن الاعتداد في اعتبار اللفظين مترادفين إنما هم بالاختلاف في الحروف الموضوعة عليها أصالة، و

---

(1) التعريفات، ص31.

(2) التعريفات، ص253.

(3) الترادف في القرآن الكريم بين النظرية و التطبيق، نقلا عن محمد الطاهر بن عاشور في بحثه "المترادف في اللغة العربية" ص33 - 34.

لذلك زدت الحيثية لزيادة البيان لئلا يعد من الترادف ما كان بين اللفظين، أو الألفاظ من الاختلاف في كيفية نطق قبائل العرب أو القبيلة الواحدة.

- بشرط استقلال تلك المفردات في الاستعمال: لإخراج ما يسمى بالاتباع[1].

- في الدلالة: لإخراج التوكيد المعنوي.

وبعد هذه التعريفات تناول الدكتور محمد المنجد بعضا منها ثم حرر تعريفا مختارا لديه، فقال: "الترادف عندنا أن يدل لفظان مفردان فأكثر دلالة حقيقية أصيلة مستقلة على معنى واحد باعتبار واحد وفي بيئة بغوية واحدة، فلا اعتداد بالألفاظ المركبة، ولا المعاني المجازية، والأسباب البلاغية".

وبشرط الأصالة تخرج الألفاظ متلاقية على معنى واحد نتيجة لتطور صوتي أو دلالي.

وبالاستقلال يخرج التابع والتوكيد.

وبشرط الاعتبار الواحد، يخرج ما يدل على ذات و صفة كالسيف و الصارم، أو صفتين كالصارم والمهند، أو صفة وصفة الصفة كالناطق و الفصيح.

وبشرط البيئة الواحدة يخرج ما تداخل من ألفاظ وضعتها قبائل مختلفة على معنى واحد"[2].

---

(1) المرجع نفسه.

(2) الترادف في القرآن الكريم بين النظرية و التطبيق، ص35.

الفرع الثاني - بداية ظاهرة الترادف:

إن أول من أشار إلى ظاهرة الترادف هو سيبويه (ت 180هـ)، حيث عقد في كتابه بابا سمّاه: "باب اللفظ للمعاني"، وقسم فيه الألفاظ المستعملة في الكلام من حيث علاقتها بالمعاني إلى ثلاثة أقسام:

- اختلاف اللفظين والمعنى واحد، مثل ذهب وانطلق.
- اختلاف اللفظين والمعنى مختلف، مثل: جلس وذهب.
- اتفاق اللفظين والمعنى مختلف، مثل قولك: "وجدْت عليه من المَوْجِدة، ووجدت، إذا أردت وِجدان الضالّة .[1]

وكانت هذه الإشارة بمثابة المستند لمن جاء بعده، حيث برزت ظاهرة الترادف في مؤلفاتهم، بناء على الأساس الذي ذكره سيبويه من تعدد الألفاظ للمعنى الواحد:

فألف الأصمعي (ت 216 هـ) كتابه "ما اختلف لفظه واتفق معناه".

والمبرد (ت 286 هـ) كتابه " ما اختلف لفظه واتفق معناه في القرآن المجيد".

وأبو عبيد (ت224 هـ) كتابه:الأسماء المختلفة للشيء الواحد".

و اختلف الباحثون في تحديد أول من أبرز مصطلح الترادف، إلى آراء عدة نذكر منها:

1 - أول من استعمله أبو العباس ثعلب: قاله حاكم مالك الزيادي اعتمادا على قول السيوطي:« قال التاج السبكي في شرح المنهاج: ذهب بعض الناس إلى إنكار المترادف في اللغة العربية، وزعم أن كل ما يظن من المترادفات فهو

---

(1) التعريفات، ص31.

من المتباينات التي تتباين بالصفات...وقد اختار هذا المذهب أبو الحسن بن فارس في كتابه الذي ألفه في فقه اللغة العربية وسنن العرب وكلامه، ونقله عن شيخه أبي العباس ثعلب» .[1]

وعقّب الزّيادي على هذا النص بقوله:"ومما يعزز هذا الرأي أيضا إشارة أحمد بن فارس نفسه إلى ما ذهب إليه شيخه ثعلب في الترادف واعترافه بالتعويل عليه"[2].

وردّ هذا الأستاذ محمد نور الدين المنجد بأن هذا النّص ليس من صياغة ثعلب، وإنما هو من صياغة السبكي، و المصطلح كان موجودا في عصره فعبر به عما ارتآه ثعلب من الإنكار[3].

2 - أول من استعمل مصطلح الترادف علي بن عيسى الرماني (ت 384 هـ)،وذلك في كتابه"الألفاظ المترادفة والمتقاربة المعنى"، ذكره الأستاذ المنجد.[4]

المطلب الثاني – مواقف العلماء من الترادف في القرآن الكريم:

لقد ألقى الخلاف الذي وقع بين اللغويين في وقوع الترادف بظلاله على المفسرين، فبرزت بينهم طائفتان، تؤيد الأولى وقوع الترادف في ألفاظ كتاب الله العزيز، وترى ذلك من آيات إعجازه وقوّة تحديه، وتنكر الثانية وقوع الترادف معتمدة في ذلك التعليلات ذاتها التي ساقها اللغويون المنكرون للترادف، و لما

---

(1) المزهر في علوم اللغة وأنواعها، 403/1.

(2) الترادف في اللغة، ص34.

(3) الترادف في القرآن الكريم بين النظرية و التطبيق، ص31.

(4) المصدر نفسه، ص31 . 32.

كان المفسرون كثر لا يمكن إحصاؤهم وذكر آرائهم في هذه الصفحات المعدودة، فإننا سنقتصر على بعضهم من الفريقين.

الفرع الأول - القائلون بالترادف في القرآن الكريم:

1 - الإمام أبي عبد الله القرطبي (276هـ):

يرى الإمام القرطبي أن الألفاظ قد تؤدي المعنى نفسه، ولا يختص كل بمعنى لوحده، فنجده مثلا:

- في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَسِيَةً ﴾[1]، قال: " أي صلبة لا تعي خيرا ولا تفعله، والقاسية والعاتية بمعنى واحد [2].

- وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ﴾ [3]، قال:" أي حثهم وحضهم. يقال: حارض على الأمر، وواظب، وواصب، وأكب بمعنى واحد " [4].

- وفي تفسير قوله تعالى:﴿ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ﴾[5]، قال: "أي دفعه، والوكز واللكز، واللهز، واللهد بمعنى واحد، وهو الضرب بجمع الكف مجموعا [6].

---

(1) سورة المائدة: ١٣ .

(2) تفسير القرطبي، 6 / 115.

(3) سورة الأنفال: ٦٥.

(4) المصدر نفسه، 8 / 44.

(5) سورة القصص: ١٥.

(6) المصدر نفسه، 13 / 260.

أما الترادف في ألفاظ القرآن الكريم، فنجده في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾[1]، قال:" الجبار المتكبر الذي لا يري لأحد عليه حقا، هكذا هو عند أهل اللغة، ذكره النحاس... وقيل: العنيد العاصي. وقال قتادة: العنيد الذي أبي أن يقول لا إله إلا الله.

قلت – القائل القرطبي-: والجبار والعنيد في الآية بمعنى واحد، وإن كان اللفظ مختلفا، وكل متباعد عن الحق جبار وعنيد أي متكبر [2].

- وفسر اليأس بالقنوط في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[3]فقال: "دليل على أن القنوط من الكبائر، وهو اليأس"[4].

و فسر القنوط باليأس في قوله تعالى:﴿ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾[5]، فقال: "أي ييأسون من الرحمة والفرج، قاله الجمهور"[6].

- وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾[7].قال:"ومعنى (بالبأساء): بالمصائب في الأموال:

---

(1) سورة إبراهيم: ١٥ .

(2) المصدر نفسه، 9 / 349 – 350.

(3) سورة يوسف: ٨٧.

(4) المصدر نفسه، 9 / 252.

(5) سورة الروم: ٣٦ .

(6) المصدر نفسه، 14 / 34.

(7) سورة الأنعام: ٤٢ .

(والضراء) في الأبدان، هذا قول الأكثر، وقد يوضع كل واحد منهما موضع الآخر"[1].

وهذا يعني أن الإمام القرطبي يذهب إلى القول بالترادف في القرآن الكريم، ويطبقه عمليا في تفسيره.

وقد فهم بعض الباحثين أن الإمام القرطبي على العكس من ذلك[2]، فهو يذهب إلى أن الألفاظ لا ترادف معانيها بل تتقارب، واستدلوا من صنيعه في تفسيره، بقوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾[3]. قال القرطبي:"أي ما يسرّونه في أنفسهم، ويتناجون به بينهم"[4]. وهذا لا يفهم منه بالضرورة أن القرطبي لا يقول بالترادف، فالمعنى الوارد في تفسير هذه الآية لم ينفرد به لوحده، بل قال به عدد من العلماء الذين قالوا بالترادف، أو الذين قالوا بخلاف ذلك.

2 – الإمام أبي بكر بن العربي(543هـ):

يرى الإمام ابن العربي إمكانية اتحاد أكثر من لفظ على معنى واحد، سواء كان ذلك في اللغة، أم في القرآن الكريم:

---

(1) المصدر نفسه، 6 / 424.

(2) ينظر: الفروق اللغوية، محمد عبد الرحمن الشايع، ص195.

(3) سورة الزخرف: ٨٠ .

(4) تفسير القرطبي، 16/ 119.

- ففي اللغة، عند تفسير قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ﴾ [1]، قال: "قَوْلُهُ:﴿ شَعَٰٓئِرَ ﴾: وَاحِدُهَا شَعِيرَةٌ، وَلَمْ يَخْتَلِفُوا أَنَّهَا الْمَعَالِمُ .

وَحَقِيقَتُهَا أَنَّهَا فَعِيلَةٌ، مِنْ شَعَرْتُ... وَشَعَرْتُ: دَرَيْتُ، وَتَفَطَّنْتُ، وَعَلِمْتُ، وَتَحَقَّقْتُ؛ كُلُّهُ بِمَعْنًى وَاحِدٍ فِي الْأَصْلِ، وَتَتَبَايَنُ الْمُتَعَلِّقَاتُ فِي الْعُرْفِ، هَذَا مَعْنَاهُ لُغَةً " [2].

- وفي القرآن الكريم، عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[3]، قال: "اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي الشُّحِّ وَالْبُخْلِ عَلَى قَوْلَيْنِ : فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ : إنَّهُمَا بِمَعْنًى وَاحِدٍ .

وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: لَهُمَا مَعْنَيَانِ: فَالْبُخْلُ مَنْعُ الْوَاجِبِ...وَالشُّحُّ : مَنْعُ الَّذِي لَمْ يَجِدْ ... فَذَكَرَ اللَّهُ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ ذَهَابِ الشُّحِّ ؛ وَهَذَا لَا يَلْزَمُ ؛ فَإِنَّ كُلَّ حَرْفٍ يُفَسَّرُ عَلَى مَعْنَيَيْنِ أَوْمَعْنًى يُعَبَّرُ عَنْهُ بِحَرْفَيْنِ، يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ كُلُّ وَاحِدٍ يُوضَعُ مَوْضِعَ صَاحِبِهِ جَمْعًا أَوْ فَرْقًا، وَذَلِكَ كَثِيرٌ فِي اللُّغَةِ ، وَلَمْ يَقُمْ هَاهُنَا دَلِيلٌ عَلَى الْفَرْقِ بَيْنَهُمَا" [4].

3 - ضياء الدين بن الأثير (637هـ):

لم ينصّ ابن الأثير صراحة عن تأييده للترادف في اللغة، فضلا عن القرآن الكريم، إلاّ أن بين طيّات النماذج التي يوردها في مباحث كتابه "المثل السائر في

---

(1) سورة الحج: ٣٢.

(2) أحكام القرآن لابن العربي، 5/ 408.

(3) سورة الحشر: ٩.

(4) أحكام القرآن لابن العربي،7 / 287.

أدب الكاتب والشاعر"، نجده ينحى منحى القائلين بالترادف في القرآن الكريم، و فيما يلي بعض النماذج تثبت ذلك:

قوله في النوع السابع عشر في التكرير: "واعلم أن من هذا النوع – يعني التكرير في اللفظ والمعنى - قسما يكون المعنى فيه مضافا إلى نفسه مع اختلاف اللفظ، وذلك يأتي في الألفاظ المترادفة، وقد ورد في القرآن الكريم، واستعمل في فصيح الكلام.

فمنه قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾ [سبأ: ٥]: والرجز هو العذاب. وعليه ورد قول أبي تمام:

نهوض بثقل العبء مضطلع به ... وإن عظمت فيه الخطوب وجلت

والثقل هو العبء، والعبء: هو الثقل...وربما أشكل هذا الموضع على كثير من متعاطي هذه الصناعة وظنوه مما لا فائدة فيه وليس كذلك،بل الفائدة فيه هي التأكيد للمعنى المقصود، والمبالغة فيه. أما الآية فالمراد بقوله تعالى: ﴿عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾ أي:عذاب مضاعف من عذاب"[1].

وقال أيضا في معرض كلامه عن التكرير في المعنى دون اللفظ: "والكلام في هذا الموضع كالكلام في الموضع الذي قبله، فإن تكرير اللفظ والمعنى إذا كان الغرض به شيئا واحدا، ولا نجد شيئا من ذلك يأتي في الكلام إلا لتأكيد الغرض المقصود به، كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [2]؛ فإنه إنما كرر العفو والصفح والمغفرة، والجميع بمعنى

---

(1) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، نسخة إلكترونية، النوع السابع عشر في التكرير.

(2) سورة التغابن: ١٤.

واحد، للزيادة في تحسين عفو الوالد عن ولده والزوج عن زوجته، وهذا وأمثاله ينظر في الغرض المقصود به، وهو موضع يكون التكرير فيه أوجز من لمحة الإيجاز وأولى بالاستعمال.

وقد ورد في القرآن الكريم كثيرا، كقوله تعالى في سورة يوسف عليه السلام: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [1]؛ فإن البث والحزن بمعنى واحد، و"إنما" ههنا لشدة الخطب النازل به، وتكاثر سهامه النافذة في قلبه، وهذا المعنى كالذي قبله" [2].

الفرع الثاني ـ القائلون بعدم الترادف في القرآن الكريم:

1 – الإمام الطبري (310هـ):

• تعددت القراءات لموقف الإمام الطبري من وقوع الترادف في القرآن الكريم أو عدمه، فالدكتور محمد عبد الرحمن الشايع صنفه في زمرة الرافضين للترادف واستدل في ذلك بصنيعه في بعض المواضع من تفسيره، منها:

تفريقه بين السرّ والنجوى في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ [3].

فقد فسّر الإمام الطبري السرّ في الآية بما يسرُّونه في أنفسهم، من الكفر به وبرسوله. والنجوى: بالتناجي بينهم بالطعن في الإسلام وأهله، وذكرِهم بغير ما ينبغي أن يُذكروا به [4].

---

(1) سورة يوسف: ٨٦.

(2) المصدر نفسه.

(3) سورة التوبة: ٧٨.

(4) ينظر: تفسير الطبري، 14/ 381.

وخالف بذلك من ذهب إلى أن اللفظين بمعنى واحد، وهما مترادفان[1].

كما فرق الإمام الطبري أيضا بين "لا تبقي"، و "لا تذر" في قوله تعالى: ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾[2]، حيث خالف بين معنى اللفظين بالتضاد، فقال: "ثم بين الله تعالى ذكره ما سقر، فقال: هي نار(لا تُبقي) من فيها حيا، (وَلا تَذَرُ) من فيها ميتا، ولكنها تحرقهم كلما جدّد خلقهم [3].

ويؤيد الدكتور الشايع ما ذهب إليه، توجيه الإمام الطبري تعدد أسماء القرآن الكريم بقوله: "ولكلّ اسم من أسمائه الأربعة في كلام العرب، معنى ووجهٌ غيرُ معنى الآخر ووجهه"[4].

وفي مقابل هذا الموقف، وجدت أن الإمام الطبري استعمل الترادف في تفسيره لبعض آيات القرآن الكريم، منها: عند فسيره لقوله تعالى:﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗاۖ يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾[5]. ذكر اختلاف بعض العلماء في معنى قوله:(يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ): فروى عن منصور أنه بمعنى يخلقكم. وروى عن قتادة أنه بمعنى يعيشكم فيه. ثم قال: "وهذان القولان وإن اختلفا في اللفظ من قائليهما، فقد يحتمل توجيههما إلى معنى واحد، وهو أن يكون القائل في معناه يعيشكم فيه، أراد بقوله ذلك: يحييكم بعيشكم به كما

---

(1) ينظر: الفروق اللغوية، محمد عبد الرحمن الشايع، ص195.

(2) سورة المدثر: ٢٨.

(3) تفسير الطبري، 24/ 26 – 27.

(4) تفسير الطبري،1/ 94.

(5) سورة الشورى: ١١ .

يحيي من لم يخلق بتكوينه إياه، ونفخه الروح فيه حتى يعيش حيا"[1]. والتوجيه إلى معنى واحد لا يعني بالضرورة أن اللفظين مترادفان، فيبقى ما ذكره الدكتور لشايع هو الراجح، و الله أعلم.

2 – الإمام الزمخشري (538هـ):

إن المتتبع لطريقة الإمام الزمخشري في تفسيره، يجده يتفرد بالدقّة بإبراز الفروق بين الألفاظ؛ وخاصة إذا كانت متتالية في آية واحدة، فإنه لا يألوا جهدا في التمييز بين معنييهما، وهذا ما يوحي بميله إلى عدم وجود الترادف بين ألفاظ كتاب الله العزيز. ومثال ذلك:

– في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾[2]، قال:"﴿يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ ﴾، ما أسرّوه من النفاق والعزم على إخلاف ما وعدوه وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن في الدين، وتسمية الصدقة جزية وتدبير منعها"[3].

– وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾[4]، قال: " فإن قلت: ما الفرق بين النصب واللغوب؟ قلت: النصب التعب والمشقة التي تصيب المنتصب للأمر

---

(1) تفسير الطبري،21/ 508.

(2) سورة التوبة: ٧٨ .

(3) الكشاف، 451/2.

(4) سورة فاطر: ٣٥ .

المزاول له. وأما اللغوب فما يلحقه من الفتور بسبب النصب. فالنصب: نفس المشقة والكلفة. واللغوب: نتيجته وما يحدث منه من الكلال والفترة"[1].

3 – الإمام ابن عطية (542هـ):

ذكر الإمام ابن عطية من وجوه إعجاز القرآن الكريم أن ألفاظه الموضوعة في ترتيبها لا تصلح لها غيرها، وقال: "الصحيح والذي عليه الجمهور والحذاق في وجه إعجازه أنه بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه، وذلك أن الله أحاط بكل شيء علما وأحاط بالكلام كله علما؛ فإذا ترتبت اللفظة من القرآن علم بإحاطته أي لفظة تصلح أن تلي الأولى وتبين المعنى بعد المعنى ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره.

والبشر يعمهم الجهل والنسيان والذهول، ومعلوم ضرورة أن أحدا من البشر لا يحيط بذلك فبهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة

وبهذا يبطل قول من قال: إن العرب كان في قدرتها الإتيان بمثله فصرفوا عن ذلك، والصحيح أنه لم يكن في قدرة أحد قط. ولهذا ترى البليغ ينقح القصيدة أو الخطبة حولا ثم ينظر فيها فيغير فيها وهلم جرا وكتاب الله تعالى لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب على لفظة أحسن منها لم يوجد"[2]. إذا فالإمام ابن عطية يذهب إلى عدم الترادف في القرآن الكريم؛ لأنه لا يتماشى مع إعجازه.

---

(1) الكشاف، 420/5.

(2) الإتقان في علوم القرآن، 2/ 315 – 316.

وبالنظر في تفسيره لوجدناه مثلا في بيان معنى الحمد والشكر نقل رأي الإمام الطبري وغيره في الموضوع، ثم رجّح أن اللفظين ليسا بمعنى واحد، مستدلا لذلك.

قال الإمام ابن عطية: "وذهب الطبري إلى أن الحمد والشكر بمعنى واحد، وذلك غير مرضي. وحكي عن بعض الناس أنه قال: "الشكر ثناء على الله بأفعاله وأنعامه، والحمدُ ثناء بأوصافِه".

قال القاضي ابن عطبة: "وهذا أصح معنى من أنهما بمعنى واحد. واستدل الطبري على أنهما بمعنى بصحة قولك الحمد لله شكراً . وهو في الحقيقة دليل على خلاف ما ذهب إليه؛ لأن قولك شكراً إنما خصصت به الحمد أنه على نعمة من النعم"[1].

وفي موضع آخر نجده يخالف هذا ويؤيد فكرة تكرير اللفظ بالمعنى ذاته لغاية تأكيد، ففي قوله تعالى: ﴿ لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴾ [2]. قال: " وإضافة الحق إلى "اليقين" عبارة فيها مبالغة؛ لأنهما بمعنى واحد، فذهب بعض الناس إلى أنه من باب دار الآخرة ومسجد الجامع، وذهبت فرقة من الحذاق إلى أنه كما تقول في أمر تؤكده: هذا يقين اليقين أو صواب الصواب، بمعنى أنه نهاية الصواب، وهذا أحسن ما قيل فيه؛ وذلك لأن دار الآخرة وما أشبهها يحتمل أن تقدر شيئاً أضفت الدار إليه وصفته بالآخرة، ثم حذفت وأقمت الصفة مقامه، كأنك قلت: دار الرجعة أو النشأة أو الخلقة، وهنا لا يتجه هذا، وإنما هي عبارة مبالغة وتأكيد معناه أن هذا الخبر هو نفس اليقين وحقيقته"[3].

---

(1) المحرر الوجيز، 6 /295.

(2) سورة الواقعة: ٩٥ .

(3) المحرر الوجيز، 1/ 2.

4- الإمام ابن تيمية (728هـ):

عقد الإمام ابن تيمية فصلا في كتابه " مقدمة في أصول التفسير"، لاختلاف السلف في التفسير، وأنه اختلاف تنوع. كشف فيه عن موقفه من ظاهرة الترادف في القرآن الكريم، حيث جزم أن التعبير عن المعاني لا يكون بألفاظ مترادفة ، بل بألفاظ متقاربة، وهو سرّ إعجازي في القرآن الكريم.

قال:"وَمِنْ الْأَقْوَالِ الْمَوْجُودَةِ عَنْهُمْ وَيَجْعَلُهَا بَعْضُ النَّاسِ اخْتِلَافًا أَنْ يُعَبِّرُوا عَنْ الْمَعَانِي بِأَلْفَاظٍ مُتَقَارِبَةٍ لَا مُتَرَادِفَةٍ؛ فَإِنَّ التَّرَادُفَ فِي اللُّغَةِ قَلِيلٌ. وَأَمَّا فِي أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ فَإِمَّا نَادِرٌ وَإِمَّا مَعْدُومٌ. وَقَلَّ أَنْ يُعَبَّرَ عَنْ لَفْظٍ وَاحِدٍ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ يُؤَدِّي جَمِيعَ مَعْنَاهُ; بَلْ يَكُونُ فِيهِ تَقْرِيبٌ لِمَعْنَاهُ وَهَذَا مِنْ أَسْبَابِ إعْجَازِ الْقُرْآنِ"[1].

ثم ذكر عدّة أمثلة يؤيد بها رأيه، فقال:

- "فَإِذَا قَالَ الْقَائِلُ: ﴿ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴾[2]? إنَّ الْمَوْرَ هُوَ الْحَرَكَةُ كَانَ تَقْرِيبًا، إذْ الْمَوْرُ حَرَكَةٌ خَفِيفَةٌ سَرِيعَةٌ".

- وكذلك إذا قال: الوحي الإعلام، أو قيل: ﴿ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾: أنزلنا إليك، أو قيل: ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾[3]: أي أعلمنا، وأمثال ذلك.

فهذا كلّه تقريب لا تحقيق: فإن الوحي هو إعلام سريع خفي، و القضاء إليهم أخص من الإعلام؛ فإن فيه إنزالا إليهم، و إيحاء إليهم.

---

(1) مقدمة في أصول التفسير، ص42.

(2) سورة الطور: ٩.

(3) سورة الإسراء: ٤ .

- و من قال: ﴿ لَا رَيْبَ ﴾: لا شك، فهذا تقريب، و إلا فالريب فيه اضطراب و حركة، و لفظ الشك و إن قيل: إنه يستلزم هذا المعنى، لكن لفظه لا يدل عليه.

- وكذلك إذا قيل ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾: هذا القرآن، فهذا تقريب؛ لأن المشار إليه وإن كان واحدا، فالإشارة بجهة الحضور غير الإشارة بجهة البعد و الغيبة. ولفظ "الكتاب" يتضمن من كونه مكتوبا مضموما ما لا يتضمنه لفظ القرآن من كونه مقروءا مظهرا باديا، فهذه الفروق موجودة في القرآن.

- فإذا قال أحدهم: ﴿ أَن تُبْسَلَ ﴾[1]أي: تحبس. وقال الآخر: ترتهن، ونحو ذلك؛ لم يكن من اختلاف التضاد، و إن كان المحبوس قد يكون مرتهنا وقد لا يكون؛ إذ هذا تقريب للمعنى كما تقدم"[2].

5 - الإمام ابن كثير (774هـ):

لم ينصّ الإمام ابن كثير على موقف محدد من الترادف وقوعا وعدما، إلا أن تتبع بعض المواضع في تفسيره نجده يفرّق بين معاني الألفاظ التي ظاهرها التكرار، ما يعني أن تلك الألفاظ ليست بمعنى واحد، ومثال ذلك: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾[3]، قال: "عن ابن عباس: ﴿ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ سبيلا وسنة. وكذا رُوي عن مجاهد وعكرمة، والحسن البصري، وقتادة، والضحاك، والسُّدِّي، وأبي إسحاق السبيعي؛ أنهم قالوا في قوله: ﴿ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾: أي سبيلا وسنة.

---

(1) سورة الأنعام: ٧٠ .

(2) مقدمة في أصول التفسير، ص42 – 45.

(3) سورة المائدة: ٤٨ .

وعن ابن عباس ومجاهد أيضًا وعطاء الخراساني عكسه: ﴿ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ أي: سنة وسبيلا. والأول أنسب؛ فإن الشرعة وهي الشريعة أيضا، هي ما يبتدأ فيه إلى الشيء. ومنه يقال: "شرع في كذا" أي: ابتدأ فيه. وكذا الشريعة، وهي ما يشرع منها إلى الماء. أما "المنهاج": فهو الطريق الواضح السهل، والسنن: الطرائق، فتفسير قوله: ﴿ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ بالسبيل والسنة أظهر في المناسبة من العكس، والله أعلم"[1].

وكذلك الأمر في قوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ [2]، أي: متجبر في نفسه معاند للحق"[3].

6 – الإمام الزركشي (774هـ):

خصص الإمام الزركشي قاعدة للألفاظ التي يظن بها الترادف و ليست منه، و استهلها ببيان أن الألفاظ " وزعت بحسب المقامات، فلا يقوم مرادفها فيما استعمل فيه مقام الآخر، فعلى المفسر مراعاة الاستعمالات والقطع بعدم الترادف ما أمكن؛ فإن للتركيب معنى غير معنى الإفراد، ولهذا منع كثير من الأصوليين وقوع أحد المترادفين موقع الآخر في التركيب ؛ وإن اتفقوا على جوازه في الإفراد"[4].

و ذكر عدّة أمثلة من القرآن الكريم، فقال: " فمن ذلك (الخوف) و(الخشية)، لا يكاد اللغوي يفرق بينهما، ولا شك إن الخشية أعلى من الخوف،

---

(1) تفسير ابن كثير، 3 / 129.

(2) سورة إبراهيم: ١٥.

(3) تفسير ابن كثير، 4/ 484.

(4) البرهان في علوم القرآن، 4 / 78.

وهي أشد الخوف؛ فإنها مأخوذة من قولهم: شجرة خشية إذا كانت يابسة وذلك فوات بالكلية، والخوف من قولهم: ناقة خوفاء؛ إذا كان بها داء، وذلك نقص وليس بفوات؛ ومن ثمة خصّت الخشية بالله تعالى في قوله سبحانه: ﴿ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴾ [1].

وفرق بينهما أيضا بأن الخشية تكون من عظم المخشيّ، وإن كان الخاشي قويا، والخوف يكون من ضعف الخائف، وإن كان المخوف أمرا يسيرا. ويدل على ذلك إن الخاء والشين والياء في تقاليبها تدل على العظمة، قالوا: شيخ للسيد الكبير، والخيش لما عظم من الكتان. والخاء والواو والفاء في تقاليبها. تدل على الضعف وانظر إلى الخوف لما فيه من ضعف القوة، وقال تعالى: ﴿ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴾ ؛ فإن الخوف من الله لعظمته يخشاه كل أحد كيف كانت حاله، وسوء الحساب ربما لا يخافه من كان عالما بالحساب، وحاسب نفسه قبل إن يحاسب"[2].

الفرع الثالث - موقف المحدثين من ظاهرة الترادف:

ولا شك أن اختلاف المفسرين الذين سبق ذكرهم وغيرهم في وقوع الترادف في اللغة العربية، كان له أثره البالغ في اختلاف المحدثين أيضا؛ وكان في مقدمتهم الدكتور صبحي الصالح، والدكتور إبراهيم أنيس، وغيرهما. وفيما يلي عرض لآرائهم:

---

(1) سورة الرعد: ٢١ .

(2) المصدر نفسه، 4 / 78.

1- رأي الدكتور صبحي الصالح:

يرى الدكتور صبحي الصالح أن اللغة العربية هي المعجزة لما حوت من الثراء اللفظي، وخصوبة المعاني، و ظاهرة الترادف تشكل وجها من وجوه إعجاز هذه اللغة التي نزل بها القرآن الكريم. ولذلك وصف منحى المنكرين لوقوع الترادف بالخطير، فقال: "في إنكارهم معنى أخطر كثيرا مما يتصوره أي باحث من المحدثين، فلا سبيل معه إلى القول بانفراد العربية بكثرة المترادفات، وسعة التعبير".[1]

و لا يعني تحذيره هذا دعوة إلى فتح الباب واسعا للقول بالترادف دون قيود، أو ضوابط، بل لا بد من ضبط هذه المسألة بالوسطية، فقال: "ولسنا نريد بهذا أن ننكر مع أحمد بن فارس وقوع الترادف؛ بل نؤثر أن نعتدل في رأينا، فلا ضير علينا إذا أن نأخذ بمذهب من يقول في شأن الترادف: "ينبغي أن يحمل كلام من منعه على منعه في لغة واحدة، فأما في لغتين فلا ينكره عاقل" [2].

ومن هذا المنطلق أقرّ بوجود الترادف في كتاب الله عز وجل، فقال: "وعلى هذا الأساس نقر بوجود الترادف في القرآن الكريم؛ لأنه نزل بلغة قريش المثالية، يجري على أساليبها، وطرق تعبيرها، وقد أتاح لهذه اللغة احتكاكها باللهجات العربية الأخرى اقتباس مفردات تملك أحيانا نظائرها، ولا تملك منها شيئا أحيانا أخرى، حتى إذا أصبحت جزءا من محصولها اللغوي، فلا غضاضة

---

(1) دراسات في فقه اللغة، ص 293.

(2) المصدر نفسه و الصفحة نفسها.

أن يستعمل القرآن الألفاظ الجديدة المقتبسة إلى جانب الألفاظ القرشية الخالصة القديمة" [1].

ويذكر هنا مثالا لما قرره: ترادف "أقسموا"، و"يحلفون" في قوله تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ ﴾[3].

ويخلص في آخر دراسته إلى القول: "لا مناص من التسليم بوجود ترادف، كما أنه لا مفر من الاعتراف بالفروق بين المترادفات، غير أن هذه الفروق تنوسيت فيما بعد، وأصبح من حق اللغة التي ضمتها إليها أن تعتبرها ملكا لها، ودليلا على ثرائها وكثرة مترادفاتها" [4].

2 - رأي الدكتور إبراهيم أنيس:

لقد كانت للدكتور إبراهيم أنيس رؤية ثاقبة، ونظرة دقيقة في هذا الموضوع، إذ يرى أن الأصل أن كل لفظ جعل لمعنى معيّن، و ليس هذا مرتبطا بلغة معيّنة بل هو شامل لجميع اللغات، فيقول: "الأصل في الألفاظ أن يختص كل لفظ بمعنى معيّن، بهذا جرت الكثرة الغالبة من ألفاظ اللغات في العالم... و لا شك أن الألفاظ العربية في بدء نشأتها... قد قصد بها أن يعبّر كل لفظ عن معنى معين، وأن تكون له دلالته المستقلة" [5]. ويقول أيضا: "والأصل في كل

---

(1) المصدر نفسه، ص 299.

(2) سورة الأنعام: ١٠٩ .

(3) سورة التوبة: ٧٤ .

(4) المصدر نفسه، ص 300.

(5) دلالة الألفاظ، الدكتور إبراهيم أنيس، ص210.

اللغات أن يعبّر اللفظ الواحد عن المعنى الواحد، و مع هذا فقد نرى في النادر من الأحيان أن لغة ما تقبل أكثر من لفظ الدلالة على أمر واحد، وهو ما يسمى بالترادف"[1].

ولم يرتض الدكتور إبراهيم أنيس بمسلك اللغويين الذين أنكروا وقوع الترادف في اللغة، ورأى أن ذلك من التعسف الذي يخالفه جمهور القدماء، فقال: "ومهما حاول بعض الاشتقاقيين من علماء اللغة كابن دريد، وابن فارس وأمثالهما، أو بعض الأدباء من أصحاب الخيال الخصب الذين يلتمسون من ظلال المعاني فروقا بين ملولات الألفاظ، أقول: مهما حاول هؤلاء إنكار وقوع الترادف في ألفاظ اللغة العربية، فليس يغير هذا في الحقيقة الواقعة شيئا. فالترادف قد اعترف به معظم القدماء، وشهدت له النصوص"[2].

ومن ناحية أخرى انتقد الدكتور أنيس غلوّ بعض اللغويين في كثرة توليد الألفاظ المترادفة، فقال: "وإن كان بعض الذين قالوا به غالوا فيه. فمنهم من يقول لنا إن للأسد نحو 500 كلمة، و للثعبان نحو 200 كلمة، و للداهية نحو 400كلمة، و لعسل نحو80 كلمة، و للسيف نحو 50 كلمة..."[3].

أما بالنسبة للترادف في القرآن الكريم، فالدكتور أنيس يؤكده بكثرة، ويخالف المفسرين اللذين يقولون بالفروق اللغوية، فيقول: " أما الترادف فقد وقع بكثرة في ألفاظ القرآن رغم محاولة بعض المفسرين أن يلتمسوا فروقا خيالية لا وجود لها، إلا في أذهانهم للتفرقة بين تلك الألفاظ"[4].

---

(1) المصدر نفسه، ص212.

(2) المصدر نفسه، ص211.

(3) المصدر نفسه، ص211.

(4) المصدر نفسه، ص215.

وذكر مثالا لذلك من القرآن فقال: "ويبدو من الاستعمال القرآني أن معنى ﴿ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗا ﴾[1]، لا يختلف مطلقا عن معنى الأصم" في قوته أو ضعفه، مما يجعلنا نتشكك في كثير من تلك الفروق التي ساقها هؤلاء المؤلفون"[2].

الخاتمة: بعد هذا العرض المفصّل لمواقف المؤيدين و المخالفين لوقوع الترادف في كتاب الله العزيز، نخلص إلى النتائج التالية:

1. اللغة العربية غنية بثرائها اللفظي وخصوبة معانيها، وهذا يشكل وجها إعجازيا، تنفرد به لغة القرآن الكريم دون غيرها من اللغات.

2. الأصل في الألفاظ عدم ترادف معانيها، إلاّ نادرا، إلا أن تعدد اللهجات، و تداخل الألفاظ والمصطلحات المستعملة و تعدد معانيها من بيئة إلى أخرى، جعل الترادف يكثر و تتسع رقعته.

3. جمهور المفسرين لا يؤيدون وقع الترادف في معاني ألفاظ كتاب الله العزيز؛ ويعدون ذلك وجها من وجوه إعجازه.

---

(1) سورة لقمان: ٧.

(2) المصدر نفسه، ص216.